قراءة في مخطوط " بغية المقاصد في خلاصة المراصد " للشّيخ السيّد محمّد بن علي السّنوسيّ (ت: 1276 هـ) .

أ. عابد بن سالم
جامعة وهران1

ملخص الموضوع

يتناول المخطوط مجموعة من المسائل المتعلقة بعلم الأصول والاجتهاد، وقضايا الخلاف الفقهي في الفروع، تظهر مكانته العلمية من خلال قوة المؤلف وهو العلامة السنوسي الفقهية والعلمية في معالجته لهذه المسائل، مع أسلوبه الدقيق والمتميز، نحاول من خلال هذه الدراسة الوقوف على هذه المسائل

Reading in the manuscript
With a view to the purposes in the observatories' extract
by Sheikh Mr .Mohammed bin Ali al-Sanusi (1276 .AH)

Mr. Abed Ben Salem Oran University 1

Abstract

The manuscript contains a range of issues relating to the knowledge of assets and diligence and issues in the jurisprudential dispute of branches . the Scientific stature appears through the jurisprudential and scientific power of the author and his handling with these issues ,with his precise and distinctive style . We are trying through this study to stand on these issues.

إنّ البحث في سير العلماء يطلعنا بين اللّحظة والأخرى على تراث زاخر في هذه الدّيار المغربية، على علماء نبغوا في فنون شتّى؛ كالأصول، والفقه، والتّفسير، واللّغة،

وسطّرت أناملهم تراثا ورسائل تشهد لهم على حسن التّفهم الدّرك، ومن هؤلاء الأفذاذ العلاّمة القدوة الفهّامة، العالم النّحرير، الشيخ الإمام محمّد بن علي السّنوسي – رحمه الله – ، الذي يعتبر من العلماء المبرّزين، وله نَفَس كبار العلماء كالإمام القرافي وغيره، يظهر ذلك من خلال ما خلّفه من آثار ومآثر، متمثلةً في مدوّنات علميّة راقية، وتلاميذ أصبحوا فيما بعد مرجعاً في الفتوى والقضاء، وقبلةً للطلبة للاغتراف من معينهم الثرّ؛ لذلك سنحاول في هذه القراءة السّريعة تسليط الضّوء على أحد تآليف الشيخ – رحمه لله – الذي تناول فيه مسائل مهمّة في فن الأصول والفقه والحديث وختمها بالسلوك وهذا دأب العلماء القدامى، وفق العناصر الآتية:

- التعريف بصاحب المخطوط.
- وصف نسخة المخطوط المعتمدة.
- منهجه من حيث الاستيعاب.
- منهجه من حيث الاستدلال.
- منهجه من حيث الترتيب.

أوّلاً: التعريف بصاحب المخطوط.

هو الآية الكبرى، والدِّعامة العظمى، شمس الإشراق و أحد مجتهدي الإطلاق، الأستاذ محمّد بن علي السّنوسيّ الخطّابي الحسنيّ الإدريسيّ...إلخ، ينتهي نسبه الشّريف إلى السّيد علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – والسيّدة فاطمة الزّهراء بنت رسول الله – صلى الله عليه وسلّم –، ولد في الثاني عشر من ربيع الأوّل (1202هـ) الموافق لـ (22) ديسمبر (1787م)، من أسرة جزائرية بقبيلة الخطاطبة المنسوبة إلى سيدي عبد الله بن

الخطاب – رحمه الله – المجاهريّ نسبة إلى قبيلة مُجَاهَر بنواحي مدينة مستغانم السّاحلية بأرض الجزائر، قرب هذه المدينة بمحلة يقال لها الطرش.

وسبب اشتهاره بالسّنوسيّ يعود إلى جدّه الذي لقّب نفسه بذلك؛ تبرّكاً بالشيخ الإمام محمّد بن يوسف السّنوسيّ – رحمه الله تعالى – علاّمة تلمسان [1]، الذي نزل عند قبيلة سَنُوسُة؛ أحد قبائل البربرية في المغرب، وقيل: بل هو منهم. المتوفّى سنة(895هـ)[2].

والده العلاّمة السيّد محمّد السّنوسيّ، أخذ الشّيخ محمّد بن علي السّنوسيّ القرآن الكريم وبعض علوم الآلة؛ كاللّغة العربية والتفسير والفقه والحديث والسّلوك على أبيه، ثمّ سافر إلى الحضرة المازونية لينال من معينها الثّر، ومن أعظم شيوخه في ذلك الزمان المبارك إسناداً وشهرةً الشيخ أبو طالب المازوني ومحمّد بن التّهامي البوعلفي، كما أنّه درس في معسكر، حيث أخذ على كبار المشايخ وقتئذ، أمثال العالم الهُمَام محمّد أبو راس المعسكري (ت1238هـ)، والشيخ ابن القندوز صاحب المواقف الشّهيرة مع الحكّام، والذي قتله حسن باي باشا سنة (1829م)[3]، والعلاّمة سيدي محمّد بن أبي زوينة المستغانمي، وسيبويه وقته العلاّمة عبد القادر بن عمور شارح ألفية ابن مالك، والعلاّمة أبي طالب سيدي محمّد بن علي بن الشّارف محشي الخرشي وشارح الصغرى في علم التوحيد للشيخ محمّد بن يوسف السّنوسيّ[4]، وبعدها ارتحل الشيخ محمّد بن علي السّنوسيّ في حدود العشرين من القرن المذكور إلى فاس؛ والوقت إذ ذاك وقت والعلماء علماء، ثمّ قصد المشرق ليجمع بين السّندين، فأقام بها مدّة طويلة دارساً ومدرّساً، متحصّلاً على إجازات في فنون شتىً تدلّ على علو كعبه وسعة علمه.

مرتبته العلمية:

كان العلاّمة الشيخ محمّد بن علي السّنوسيّ يتمتّع بمستوى علميٍّ راقٍ ومتنوّع؛ وذلك لتعدّد مشاربه العلميّة وكثرة رحلاته؛ فقد اغترف من معين والده واستفاد من مشايخه الذين قلّ نظيرهم في ذلك الوقت، كما أنّنا نجده قد اقتبس عامّة معارفه عند ما كان مقيماً بمكّة على يد شيخه العالم المحدّث الأثري المربّي الإمام أحمد بن عبد الله الإدريسي الفاسيّ – رحمه الله – وهو عمدته في طريق القوم وإليه ينتسب، إلى أن انتقل العارف بالله أحمد بن إدريس إلى جوار ربّه سنة (1835م)، فبايع مريدوه الإمامَ النّحريرَ السّنوسيّ شيخاً لطرقتهم حال سيرهم إلى الله تعالى، ولم يكتف بهذا بل أسّس بها زاوية في جبل أبي قبيس، وهاهو مسند الدّنيا الشّيخ عبد الحي بن عبد الكبير الكتّاني . رحمه الله . يشهد للمترجَم له شهادة يعترف له بمنزلته العلمية قائلاً ما نصّه:" هو الإمام العارف بالله الدّاعي إلى السنّة والعمل بها، ختم المحدّثين والمسندين، الكبريت الأحمر والهمام الغضنفر، حجّة الله على المتأخرين، أبو عبد الله محمّد بن علي السّنوسي الخطّابي...إلخ"[5].

ثمّ رجع الإمام الهمام إلى المغرب فنزل الجبل الأخضر بليبيا، وأنشأ زاوية التي عُرِفت بالزّاوية البيضاء، وهي قريبة من مقام الصّحابي الجليل سيّدي رافع الأنصاري – رضي الله عنه– واستقرّ بها معلّماً ومربّياً، وواعظاً مرشداً، ومناضلاً سياسيّاً بعيد النّظر؛ فقد كان دائماً مستعدّاً للاستعمار الإيطالي ويتوقّع غزوه البلاد[6] ، وهذا ما وقع.

كانت الدّول الأوروبية وفي طليعتها بريطانيا وفرنسا تَعتبِر الطّرق الصّوفية عموماً كالرّحمانية والقادرية والتّيجانية الحصنَ المنيعَ الذي ينهك قوّتها، أمّا السّنوسية على وجه الخصوص تبقى هي الأخطر؛ لتشبّثها بتعاليم دينها، وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على دور المساجد والزّوايا والطّرق الصّوفية في تربية النّاشئة والدّفاع عن المُعتقد والوطن، وهذا ما

أقرّ به كثير من المؤرّخين الأجانب، – كما قيل :" والحقّ ما شهدت به الأعداء" — وفي طليعتهم المؤرّخان الفرنسيان موريس واهل (*Maurice Wahil*)، وأوقستان برنار (*Augustin Bernard*) في كتاب (الجزائر)[7].

ظلّ الاستعمار الإيطالي يشنّ هجماته ضدّ الحركة السّنوسيّة لمدّة دامت نصف قرن من الزمن، إلاّ أنّ هذا الأمرَ لم يُثن عزمها، بل زادها همّة في إنشاء الزّوايا في عدّة نواحي من الأماكن اللّيبية، فأُنشئ أكبر مقرّ للزاوية سنة (1856م) في جغبوب، وبها ازدهرت دعوتها وقويت شوكتها ضدّ الاستعمار[8].

وفاته وآثاره:

لم يعرف الشّيخ محمّد بن علي السّنوسيّ فترةً ولا مللاً؛ لإخلاصه وعلمه الثّر ودعوته الإصلاحية التي شملت العديد من الدّول خاصّة ليبيا، وبالضّبط واحة جغبوب التي مكث فيها مدّة ثلاث سنوات ملازماً للعبادة مع المريدين السّنوسيّين الذين تغيّر اسمهم فيما بعد إلى الإخوان السّنوسيّين، حتّى دعاه مولاه جلّ وعزّ فلبّى ندائه، فرجعت تلك الرّوح آمنةً مطمئنّةً إلى بارئها بعد توفيق من الله تعالى لها، وذلك يوم الأربعاء لتاسع صفر الخير من سنة ست وسبعين ومائتين وألف هجرية الموافق لسّابع سبتمبر سنة تسع وخمسين وثمانمائة وألف ميلادية، ودفن بمحلّه هناك، رضي الله عنه وعن أشياخه وعنّا معهم آمين[9].

للإمام محمّد بن علي السّنوسيّ مؤلّفاتٌ عديمة النّظير تدلّ على علوّ كعبه، واتّساع عريضته، وطول باعه في الآثار النبويّة والأصول والفقه والتصوف، وثبت له من المنظوم والمنثور الكثير، ولو لم يصلنا إلاّ هذا الصّدف الذي نحن بصدد التّعريف به لكفى، ألا وهو " **بُغْيَةُ المَقَاصِدِ فِي خُلاَصَةِ المَرَاصِدِ** "، فكيف إذا أضفنا إليه المدوّنات الآتية:

. إيقاظُ الوسْنان في العَمَل بالحَدَيثِ والقُرْآنِ.

. السَّلْسَبيل المُعِينُ في الطَّرائقِ الأرْبَعينَ.

. المَنْهَل الرَّوِيِّ الرَّائِقِ في أسَانِيد العلومِ وأصُولِ الطَّرَائِقِ.

. مُقدِّمةُ مُوَطَّأ الإمامِ مالك . رضي الله عنه .

. الدُّرَرُ السَّنِيَّةِ في أخْبارِ السُّلالَةِ الإدْرِيسَيَّةِ.

. المسَلسلات العشرة في الأحَاديثِ النَّبَويَّة علَى صاحبِها أفضلُ الصَّلاةِ وأتمُّ التَّسليمِ.

. البدور السّاحرة في عوالي الأسانيد الفاخرة.

. الكواكب الشّارقة في أسانيد بعض المغاربة والمشارقة.

. نزهة الجنان في أوصاف تفسير القرآن.

. منظومة السّلوك إلى ملك الملوك.

. لوامح الخذلان على من لا يعمل بالقرآن.

. الكواكب الدرّية في أوائل الكتب الأثرية.

. التّحفة في أوائل الكتب الشريفة.

. سوابغ الأيدي بمرويات أبي زيد.

. بغية السّول في الاجتهاد والعمل بحديث الرّسول[10].

ومن خلال هذه الترجمة المختصرة يتبين لنا أنّ الشيخ محمّد بن علي السّنوسيّ . رحمه الله . لم يكن عابداً مربّياً فحسب، بل كان متبحّراً في علوم شتّى؛ كعلم أصول الفقه والفقه المقارن والحديث...إلخ. فكان بحقٍّ من رجال السّيف والقلم.

ثانياً: منهجه من حيث الاستيعاب.

لقد تناول المصنّف العلاّمة الأستاذ الأعظم الشيخ الإمام محمّد بن علي السّنوسي عدّة تحقيقات في هذا السِّفر الماتع" **بُغْيَةُ المَقَاصِدِ فِي خُلاَصَةِ المَرَاصِدِ** "؛ منها مباحث

أصوليّة مهمّة كمبحث الاجتهاد وضرورة فتح بابه خاصّة في الحالة الرّاهنة، وأخرى فقهيّة مع مقارنتها بين مذاهب الأئمّة، وما مضى عليه سلف قادة الأمّة، أمّا القواعد السّلوكية يَكاد لا يخلو منها أيُّ مصنَّف من مصنّفاته، هذا على جهة الإجمال، أمّا على جهة التّفصيل فقد رسم . رحمه الله . ابتداءً خطّة ذكر فيها ما رام الوصول إليه على وفق منهجية حديثة، حصرها في مقدّمة وثلاثة مراصد وخاتمة.

بيّن في المقدّمة مقادير أئمّة السّلف ومن تبعهم من الخلف، ومدى اعتصامهم بالكتاب والسنّة، وما يجب على من بَعدهم من التّوقير والإعظام، وحمل ما يوهم خلاف السنّة من الأقوال على أحسن الأحوال.

كما أنّنا نجد الإمام يفصّل في أسباب الخلاف بين الأئمّة؛ فيذكر مثلا: أنّ منها ما يعود إلى عدم وصول الحديث لإمام من الأئمّة المجتهدين فيقول — رحمه الله – :" من لم يبلغه الحديث لم يكلّف أن يكون عالماً بموجبه، فإذا لم يكن قد بلغه وقد قال في تلك القضية بموجب ظاهر آية أو حديث آخر أو قياس أو موجب استصحاب، فقد يوافق ذلك الحديث تارة ويخالفه أخرى، وهذا السّبب هو الغالب على أكثر ما يوجد من أقوال السّلف مخالفاً لبعض الأحاديث؛ فإنّ الإحاطة بحديث رسول الله عليه وسلّم لم تكن لأحد من الأمّة"[11].

ثمّ ساق الإمام ابن السّنوسي تابعاً في ذلك الإمام ابن تيمية — رحمه الله – مجموعة من الأحاديث يبيّن فيها تفاوت الصّحابة فيما بينهم في مجالسة النّبي صلى الله عليه وسلّم وأخذهم الحديث عنه، وإذا كان الصّحابة كذلك فالأئمة المجتهدون ومن بَعدهم من باب أولى؛ من ذلك على سبيل التمثيل لا الحصر ما يأتي:

-لمّا سئل سيّدنا أبو بكر الصّديق عن ميراث الجدّة لم يعرف ذلك حتى أخبره المغيرة بن شعبة[12] ومحمّد بن مسلمة[13] أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم جعل لها السّدس[14].

-لم يكن يعلم عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – حكم المجوس في الجزية حتى أخبره عبد الرحمن بن عوف[15].[16]

-ومن خلال ما سبق يتبيّن لنا أنّ الصّحابة متفاوتون في استماعهم لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وإذا كان هذا حالهم فغيرهم من الأئمة المجتهدين من باب أولى. ومن أسباب الخلاف كذلك عند الإمام عدم وصول الحديث من طريق يعتدّ به، واعتقاد المجتهد ضعف الحديث، والاختلاف في شروط العمل بالخبر الواحد، ونسيان الحديث بعد بلوغه وثبوته، وعدم المعرفة بدلالة الحديث، والتعارض الموجود بين ظواهر النصوص[17].

والملاحظ أنّ مجمل ما ذكره منقول من كتاب" **رفع الملام عن الأئمّة الأعلام** " لشيخ الإسلام ابن تيمية – عليه من الله الرّضوان –.

كما أنّنا نجد أنّ الإمام محمّد بن علي السّنوسيّ يفصّل في مسألة مهمّة تستأهل رسالة مستقلّة ألا وهي:" وجوب العمل بما عُلم من الأحاديث المتروك العمل بها عند المعذورين من الأئمّة بتلك الأسباب ووجوب تبليغها "[18].

وبعدما أنهى الإمام السّنوسي الكلام عن ذكر أسباب الخلاف وبيّن فكرة وجوب العمل بما علم من الأحاديث وإن تركها الأئمّة، شرع يبيّن حقيقة بعض المصطلحات؛ من ذلك تعريف المذهب والتخريج الفقهي والفتوى والقضاء والاجتهاد والتقليد والاتّباع، وكلّ هذا ربطه بفكرة وجوب العمل بالسنّة النبويّة مادام الأمر يتعلّق باجتهادات العلماء.

ومن المباحث المهمّة التي يذكرها الإمام السّنوسي في الباب الخامس من المرصد الأوّل[19] مذاهب العلماء في العمل بالحديث وقسّمه إلى ثلاثة مباحث: ولنا أن نُعنونها كالآتي:

المبحث الأوّل: منهج الأصوليين في العمل بالسنّة.

المبحث الثاني: منهج المحدّثين في العمل بالسنّة.

المبحث الثالث: منهج الفقهاء في العمل بالسنّة.

أمّا المرصد الثاني فبيّن فيه كيفية صلاة أهل الاصطفاء ، وفصّل فيه صفة صلاة النّبي صلى الله عليه وسلّم من الإحرام إلى السّلام، وبيّن فيه جميع الأقوال والأفعال والأحوال القلبية من خشوع وحضور فقال- رحمه الله – ما نصّه:" **الفصل الأوّل:** وفيه فرعان: **الأوّل:** في صفة صلاته عليه السّلام من الإحرام إلى السّلام ، حسبما وردت به الأخبار، وتكاثرت به السّير والآثار..." [20]، ثمّ راح يفصّل قرّة عين المصطفى عليه الصّلاة والسّلام تفصيلاً في بحث مطوّل.

أمّا المرصد الثالث فقد عنونه بقوله:" **نصوص الأئمّة في المسائل العشر وطيّ ما فيها من البسط والنشر**" ، ولنا أن نقول أنّها رسالة تطبيقية لما ذكر سابقا؛ لأنّه – رحمه الله – ذكر فيها عشر مسائل بيّن فيها وجهة نظره بأسلوب علميّ راقٍ، موضّحاً أوجه الاستدلال من الكتاب والسّنة، وذاكراً لأقوال الأئمّة المجتهدين ومآخذهم التي اعتمدوها؛ وهي كالآتي:

1 . حكم رفع اليدين في الصّلاة، 2 . حكم القبض، 3 . السّكتات الثّلاث وما يقال فيها، 4 . حكم الاستعاذة، 5 . البسملة للفاتحة والسّورة، 6 . التّأمين، 7 . التّكبير لقيام

الثالثة، 8 . السّلام والخروج من الصّلاة، 9 . القنوت ورفع اليدين حال الدّعاء، 10 . تطويل الصّلاة.

وهذه المسائل المذكورة جمعها الإمام السّنوسي في رسالة أخرى مستقلّة موسومة بـ " **شفاء الصّدر بِأَرْيِ المسائل العشر**" وهي بحقّ شفاء لمن يعاني من عصبيّة التّقليد، فبالرغم من انتسابه إلى المذهب المالكي في الأصول إلاّ أنّنا نجده قد خالف مشهور ما عندهم، في حكم هذه المسائل.

وخلاصة ما قيل: إنّ الإمام السّنوسي ألّف كتابه " **بغية المقاصد** "ونهج فيه نهج الأوائل من العلماء، ووظّف فيه معلومات أصولية وفقهية وسلوكية، كما أنّنا نجده يذكر كمّاً من الأفكار معتمداً في ذلك على النّقل الحرفي في بعض الأحيان دون تعقيب أو إضافة أو شرح، وممّن نقل عنهم السنوسي حرفياً الإمامَ ابنَ تيمية في كتابه "رفع الملام".

سمات عامّة في كتاب "بغية المقاصد" للإمام السّنوسي:

– تأثّر **الإمام السّنوسي** بفكرة الاجتهاد؛ وذلك راجع إلى طبيعة البيئة المكيّة التي درس فيها أكثر من سبع سنوات، وتأثّر بعلمائها **كالشيخ محمّد بن عبد الوهاب** ، كما نلاحظ تأثره الواضح بفخر المالكية الشهير **بالفلاّني**[21] خاصّة في كتابه الموسوم بـ " **إيقاظ الهمم**" الذي كان ينادي فيه بفكرة الاجتهاد، كما نجد الإمام يدعو إلى ضرورة الرّجوع إلى الكتاب والسنّة والعمل بهما، وأنّ أكابر سلف الأمّة وأماثل خلفها من الصّحابة والتّابعين وتابعيهم وهلمّ جرّا، لا سيّما الأئمة الأربعة – رضي الله عنهم – حذّروا من مخالفة الحديث وحضّوا على وجوب العمل به مع مخالفة رأي أيٍّ كان، ثمّ يأتي الإمام بشاهد بالاعتبار على ذلك؛ فيذكر ما روي عن سعيد ابن جبير عن ابن عبّاس – رضي الله عنهم – قال:" تمتّع رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فقال عروة: نهى أبو بكر وعمر عن المتعة، فقال ابن

عباس: أراهم سيهلكون، أقول: قال رسول الله، ويقولون: قال أبوبكر وعمر؛ يعني متعة الحجّ، وفي رواية " يوشك أن ينزل عليهم حجارة من السّماء "[22].

– ذكرُ الإمامِ السّنوسي أقوالَ العلماء والمراجع المختلفة والمتعدّدة في الفقه والأصول والسّلوك دليلٌ على غزارة علمه وتفتح عقله.

– أمّا عن المرصد الأوّل: فقد جاء بعنوان " وجوه الهدي بسنن الأئمّة الراشدين والتزام سيرهم واقتفاء آثارهم في سلوك معالم الدّين"، وفيه خمسة أبواب:

الباب الأوّل: في المذهب والفتوى والقضاء.

الباب الثاني: فيما به الفتوى.

الباب الثالث: أقسام المفتين وصفاتهم.

الباب الرابع: أنواع الاجتهاد وأنواع المجتهدين.

الباب الخامس: فيما للناس في العمل بالحديث وتفرقهم فيه شيعا في القديم والحديث.

ثمّ ذكر المرصد الثاني بعنوان: كيفية صلاة أهل الاصطفاء، وفيه كيفية صلاة النّبي صلى الله عليه وسلّم من أولها إلى آخرها. أمّا **المرصد الثالث** ففيه نصوص الأئمّة في المسائل العشر التي ذكرت سابقا، ثمّ ختم الإمام بما يجب على الإنسان من إنقاذ نفسه من مخالب الخسران، وأن يسلك بها مسالك أهل المعرفة والكمال، ويتخلّى عن كلّ وصف رديء ويتحلّى بكلّ خلق سَنِيّ مَرضيّ؛ ليترقّى في منازل السّالكين، الذين عبدوا الله تعالى على يقين، فالمناسبة ظاهرة بين ما بدأ به وبين ما ختم به؛ على معنى أنّ العلم النافع هو الذي يقودك إلى معرفة الباري جلّ وعزّ، ولما كثر الإفراط والتفريط في منهج القوم راح يقوّم ذلك بتعريف بعض المصطلحات كالمراقبة والمشاهدة وعلم اليقين وعين اليقين وحقّ اليقين

والحجب النورانية والظلمانية...إلخ؛ لأنّ كثيرا من المسائل كان سبب الخلاف فيها عدم تحديد معنى بعض المصطلحات، وفي الأخير عدّد أنواع الأنفس التي يمكن أن يكون عليها الإنسان، وبيّن معانيَها وطرقَ التعامل معها، وحصرها في سبعة: النّفس الأمّارة واللّوامة والمُلهَمة والمطمئنّة والرّاضيّة والمرضيّة والكاملة – جعلنا الله من أهلها –

ثالثاً: منهجه من حيث الاستدلال.

يهتمّ الإمام محمّد بن علي السّنوسي في " **بغية المقاصد وخلاصة المراصد** " بالاستدلال بنصوص الكتاب والسنّة والإجماع وأقوالِ الصّحابة الذين عاشروا النّبيّ صلى الله عليه وسلّم، وذكرِ آراء وأقوال العلماء، والأدلّة التي اعتمدوها ومناقشتها والترجيح بينها؛ من ذلك ما صنعه عند تطرقه للمسائل العشر، فنجده يذكر جلّ الأقوال في المسألة الواحدة، ثمّ يأتي بأدلّتهم سواء أكانت من الكتاب أم السنّة أم الإجماع مع المناقشة والتحليل في بعض الأحيان؛ مثال ذلك: قوله في **حكم القبض**:" وحاصل ما للعلماء فيه أربعة أقوال، أذكرها إجمالا ثمّ تفصيلا" ثمّ يسرد أقوال العلماء في المسألة مع عرض أدلّتهم، وفي الأخير يرجّح القول الذي يراه قويّاً.

رابعاً: منهجه من حيث الترتيب.

لقد تبع الشّيخ محمّد بن علي السّنوسي في تدوينه لمواضيع الكتاب على العموم طريقة الأصوليين قبله؛ مراعياً في ذلك المناسبات بين أجزاء الكتاب؛ فبدأ بمقدّمة عرّف فيها عناصر الكتاب ثمّ بيّن أسباب الخلاف بين الأئمّة الأعلام مع التمثيل، وعقد بعدها فصلا في وجوب العمل بما علم من الأحاديث المتروك العمل بها، ثمّ بيّن بعض المصطلحات كالمذهب والفتوى والقضاء والاجتهاد والتّقليد والاتّباع، وبعده فصّل الطرق الثلاثة للعمل بالحديث؛ طريقة الأصوليين والمحدّثين والفقهاء، ثمّ ذكر صفة صلاة النبي صلى الله عليه

وسلم من الإحرام إلى السّلام بأركانها وفروعها، وقبل أن يختم عقد مرصدا بيّن فيه المسائل العشر مع ذكر نصوص الأئمّة في ذلك، والمناسبة ظاهرة بين هذا وذكره لأسباب الخلاف، وختم بما لا بدّ منه لكلّ من رام الوصول إلى معرفة الله تعالى وسمّاه بـ " الخاتمة الآخرة في شيء من أحوال القوم الفاخرة".

خامساً: صورة المخطوط المعتمدة.

المخطوط الذي بين أيدينا كتب بخط مغربي واضح، وعدد لواحاته 253 لوحة، عدد الأسطر 25 سطراً لكلّ لوحة، ومتوسط الكلمات في كلّ سطر لا يتجاوز ثلاث عشرة كلمة، لوحاته غير مرقّمة وغير ناقصة.

أهمّ المصادر والمراجع المعتمدة في الكتاب.

بعد قراءة جلّ مباحث" **بغية المقاصد** " نجد أنّ المؤلّف **الشيخ محمّد بن علي السنوسي** – رحمه الله – قد اعتمد على جملة من المصادر والمراجع أهمّها ما يأتي:

الرّسالة للشافعي، رفع الملام لابن تيمية، الإحكام في أصول الأحكام والمحلّى لابن حزم، الإبهاج في شرح المنهاج لبيضاوي، إعلام الموقعين والصّواعق المرسلة لابن القيّم، المعتمد في أصول الفقه لأبي الحسين البصري، مناهج العقول للبيضاوي، التنقيح والفروق والإحكام وكلّهم للقرافي، مفتاح الوصول للشريف التلمساني، المحصول للرّازي، جمع الجوامع لابن السّبكي، التمهيد للأسنوي، البرهان للزركشي، إيقاظ الهمم للفُلاّني...إلخ.

خاتمة:

يقول كثير من الباحثين " **ما ترك الأوّل للآخر من شيء** " وهذه عند التحقيق تخالف ما يمنّ الله تعالى به على عباده من إمدادات تترا على مرّ الأزمان والدهور، وفي هذا المقام يقول ابن مالك – رحمه الله – :" إذا كانت العلوم منحاً إلهية ومواهب اختصاصية فغير مستبعد

أن يفتح الله على المتأخّرين ما لم يفتحه على المتقدّمين"وهذا ما يصدق على الإمام السنوسي من خلال مصنّفه هذا بشخصيته الفذّة التي تأبي التقليد المذموم؛ مقتنعةً بفكرة الاجتهاد ووجوب الرّجوع إلى الكتاب والسنّة والتحاكم إليهما؛ ويظهر هذا جليا من خلال تلك النقول عن كبار الأئمة والمحقّقين، ومن خلال كثرة الأمثلة التي نقلها من أقوال السّلف وعملهم.

وقد يقول كثير من الباحثين في تراث الشيخ محمّد بن علي السّنوسي أنّه متأثر بالحركة السّلفية، وبالضّبط بالشيخ محمّد بن عبد الوهّاب، وهذا صحيح، وما يؤكّده كثرة نقوله عن أئمتهم كالإمام ابن تيمية خاصّة من كتابه " **رفع الملام عن الأئمة الأعلام**"، والفلاني من كتابه " **إيقاظ الهمم**"، بالإضافة إلى ذمّه للتقليد ودعوته الصّريحة إلى الاجتهاد، وتأثره هذا ليس تأثرا مطلقا، وإلاّ كيف نفسّر قسم التصوف الذي حاول فيه أن يضع منهجا مغايرا لما هو معتاد عند بعض الطّرق الصوفية، وبأنّ هذا الطّريق محروس بالكتاب والسنّة، كما أنّنا نجد السّنوسي يصحّح بعض مفاهيم بعض المصطلحات التي ينبغي أن يدركها كلّ من أراد الوصول إلى معرفة الله تعالى.

تظهر شخصية السنوسي العلمية أكثر في القسم الأصولي والفقهي من الكتاب؛ وذلك من خلال تلك المراجع المختلفة التي اعتمد عليها على اختلاف انتماءاتها، ومن خلال اجتهاداته في المسائل العشر التي خالف بها ما هو مشهور عند السّادة المالكية، فهو بذلك يدعو من طرف خفيّ إلى ضرورة فتح باب الاجتهاد وعدم عصمة الأئمة المجتهدين.

صور المخطوط :

اللوحة الأولى من المخطوط

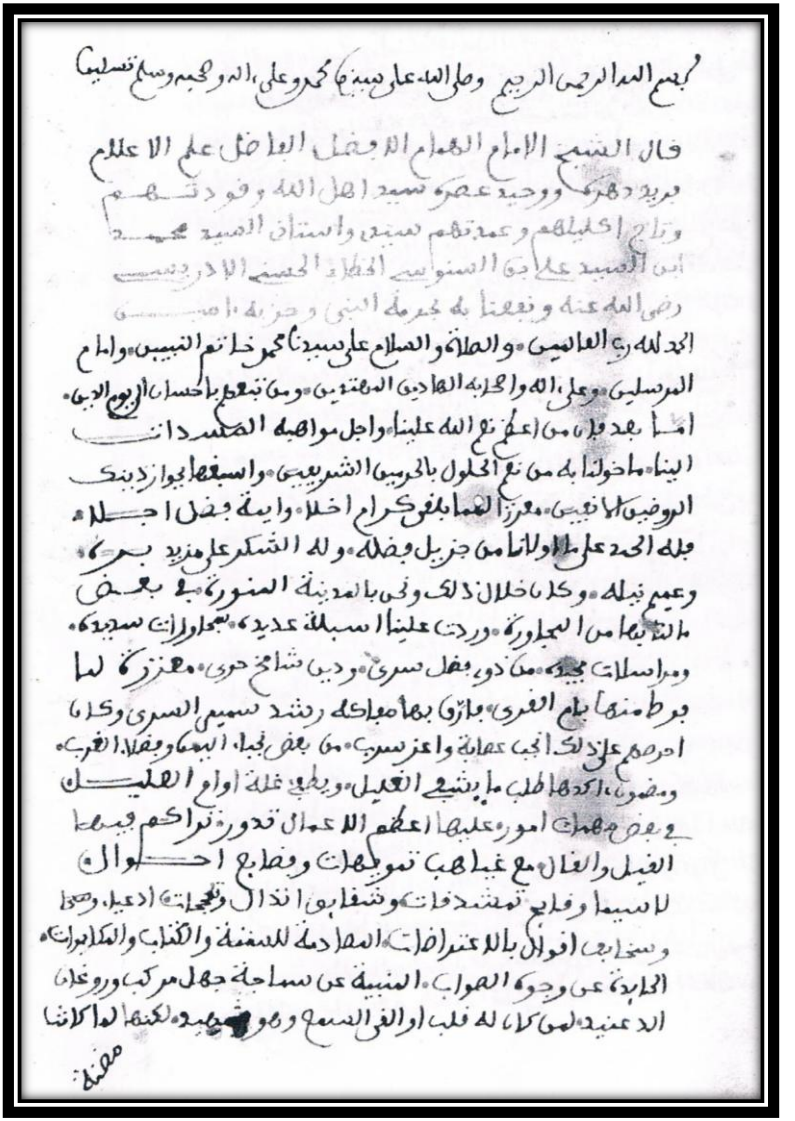

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

قال الشيخ الإمام العلامة الأوحد الفاضل الفاضل علم الأعلام
فريد دهره ووحيد عصره سيد أهل الله وقدوتهم
وتاج أكفائهم وعمدتهم سيدي واستاذي السيد محمد
ابن السيد علي بن السنوسي الخطابي الحسني الإدريسي
رضي الله عنه ونفعنا به وبعلومه آمين وحزبه آمين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام
المرسلين وعلى آله وأصحابه الهادين المهتدين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.
أما بعد فإن من أعظم نعم الله علينا وأجل مواهبه الصمدانية
إلينا ما خولنا به من نعم الحلول بالحرمين الشريفين وإسبغها بموازرة بنيك
الرضيين الأنجبين معزز المعالي بفرق كرام أخلاء وأية فضل أجلاء
فلله الحمد على ما أولانا من جزيل فضله وله الشكر على مزيد بره
وعميم نيله وكان خلال ذلك وأنى بالمدينة المنورة في بعض
ما انتابها من المجاورة وردت علينا أسئلة عديدة ومجاورات سديدة
ومراسلات مجيدة من ذوي فضل سري وذي شامخ حري معزز لما
قرط منها بلام الفرق بارق بها مباركه رشيد سميه السري وكان
أحرصهم على ذلك أنجب عصابة وأعز سرب من بعض قبائل اليمن وقبائل الغرب
ومضون أكدها طلب ما يشفي الغليل ويطفئ غلة أوام العليل
في بعض مهمات أمور وعليها أعظم الأعمال تدور تراكم فيها
القيل والقال مع غياهب تمويهات وقطائع أحوال
لا سيما وقارع تمشدقات وشغاب أنذال وتجهات أدعياء وصعا
وسخائب أقوال بالاعتراضات المعادية للسنة والكتاب والمكابرات
الجارية على وجوه الصواب المنبية عن سماجة جهل مركب وروغان
الذ عنيد لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد لكنها لما كانت

صفحة:

اللوحة الثانية من المخطوط

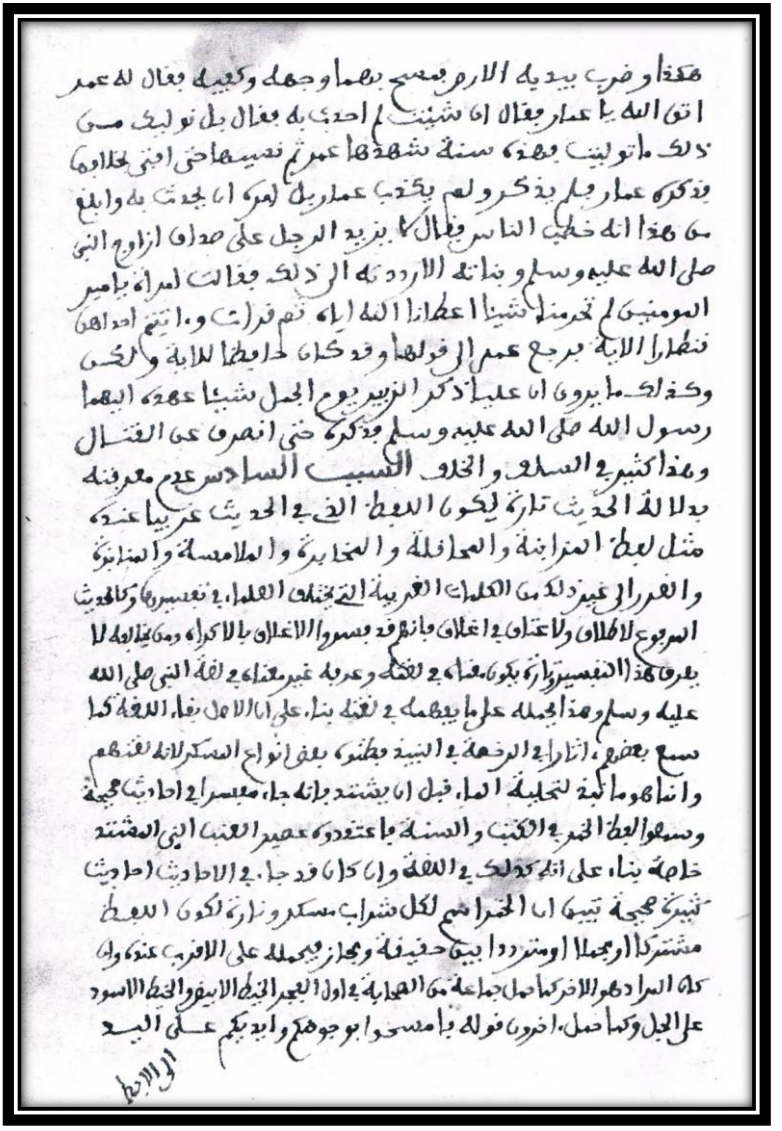

اللوحة الثالثة من المخطوط

لامن علم السطور وليكن في بقية الاوقات مع الله ليرقى الى
المقامات الباقية وليكثر من الذكر ولا يلتفت الى ما يظهر من انوار
او كمالات او كرامات لان حضرة القرب لا يدخلها الا العبد الخلص
وكل ما سوى الله قاطع عن المقصود فهو فتنة فلا تقف عنده
وان الى ربك المنتهى ومن وصل الى حضرة القرب صارت الكرامات
طوع يده ومن تعرض للكرامة اولا فقد طلب الشئ قبل اوانه
فيعاقب بحرمانه فيكون شغلا بما لا يعني والانسان مدة حياته
متعرض للمحن فينبغي التحرز من الالفات الى المهمات واياك وحب
الرياسة والشهرة والتعرض للمشيخة والارشاد الفصل
الخامس في النفس الراضية وهي صاحبة الفناء الثاني الذي هو
محو الصفات البشرية من غير ان يعقبه البقاء في الحال وعلامته
عدم الالتفات للخلق فمن التفت اليهم لاسيما الظالمون منهم
فارطباعهم الفصل السادس في النفس المرضية وهي
الجامعة بين حب الخالق والخلق وليس في شهودها شئ
من الاغيار من حيث انها اغيار لانها رجعت من عالم الغيب
الى عالم الشهادة وتوفي بما وعدت الله تعالى وتضع كل شئ
في موضعه الفصل السابع في النفس الكاملة وهي التي لا يفتر
صاحبها عن العبادة اما بجميع البدن او باللسان او بالقلب
او ببعضو من الاعضاء وصاحبها كثير الاستغفار كثير التواضع
سرورة ورضاه في توجه الخلق الى الحق وحزنه في ضد ذلك
وهو كثير الاوجاع قليل القوى قليل الحركة ليس في قلبه
كراهة لمخلوق من المخلوقات مع انه يامر وينهى ولا تاخذه
في الله لومة لائم ويظهر الكراهة لمستحقها والمحبة لمستحقها
فيضع كل شئ في محله متى ما وجه همته الى كون من الاكوان
اوجده الله تعالى على وفق مراده وذلك لان مراده في مراد الحق سبحانه

الصورة الأخيرة من المخطوط :

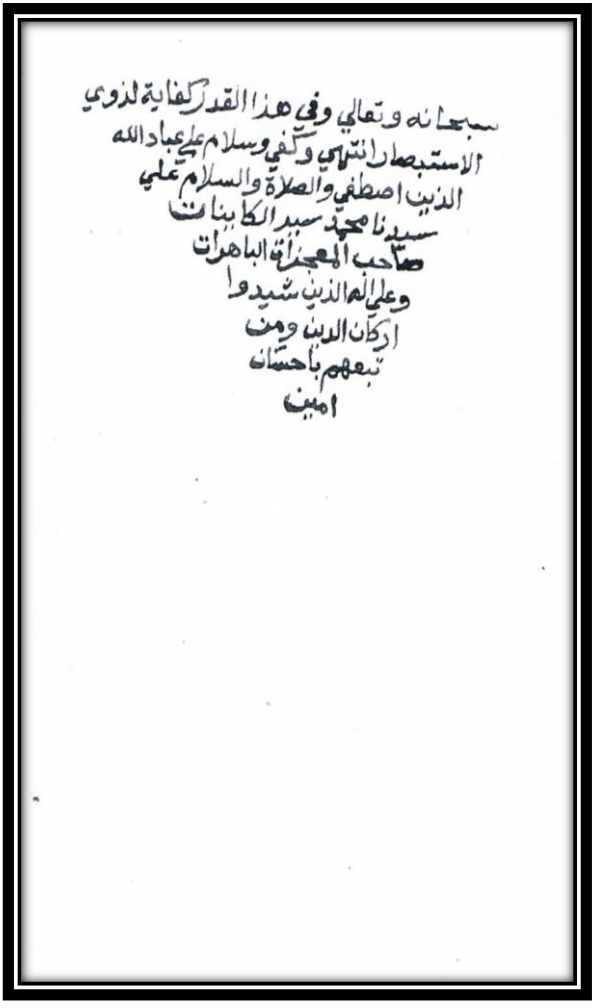
سبحانه وتعالى وفي هذا القدر كفاية لذوي
الاستبصار انتهى وكفى وسلام على عباد الله
الذين اصطفى والصلاة والسلام على
سيدنا محمد سيد الكائنات
صاحب المعجزات الباهرات
وعلى آله الذين شيدوا
أركان الدين ومن
تبعهم بإحسان
امين

الهوامش:

1. الطّرق الصّوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، صلاح مؤيّد العقبي، ط:(2009م)، مط: دار البصائر، الجزائر، ص: 120.
2. تاج العروس،مرتضى الزبيدي، تح: محمود محمد الطناحي، ط:(1396هـ/1976م)، مط:دار التراث العربي، الكويت،ج:16، ص: 154.مادّة (سنس).
3. فهرس الفهارس والأثبات، عبد الحي عبد الكبير الكتاني، إعتناء إحسان عباس، ط: 3 ، (2011م)، مط:دار الغرب الإسلامي، ج: 2 ، ص:1041.
4. إيقاظ الوسنان، محمّد بن علي السّنوسيّ، ط: (1332هـ/1914م)، مط:المطبعة الثعالبية، الجزائر، ص: 3،4.
5. فهرس الفهارس، عبد الحي عبد الكبير الكتاني، ج:2 ، ص:1040.
6. الطّرق الصّوفية، صلاح مؤيد العقبي، ص: 122.
7. الحياة الثقافيّة بالجزائر، الشيخ المهدي البوعبدلي، ط: 1، (2013م)، مط: عالم المعرفة الجزائر، ص: 126.
8. الطّرق الصّوفية، صلاح مؤيد العقبي، ص: 123.
9. إيقاظ الوسنان، محمّد بن علي السّنوسيّ، ص: 5.
10. الطّرق الصّوفية، صلاح مؤيد العقبي، ص: 124.
11. بغية المقاصد في خلاصة المراصد، محمّد بن علي السّنوسي، اللوحة:07.
12. هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي، صحابي جليل يُكْنَى أبا عبد الله،يقال له مغيرة الرأي،شهد اليمامة وفتوح الشام والعراق. ينظر: الإصابة، ابن حجر العسقلاني، مط: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، د ت ط، ج: 6 ، ص: 131.
13. هو محمد بن مسلمة بن سلمة بن خالد الأنصاري الأوسي الحارثي، كان من فضلاء الصحابة، شهد بدراً وما بعدها إلاّ تبوك بإذن من النبي صلى الله عليه وسلّم، توفي سنة 43هـ . ينظر: الإصابة، ابن حجر، ج: 6 ص: 64.
14. بغية المقاصد في خلاصة المراصد: محمّد بن علي السّنوسي، اللّوحة: 08.

15. هو عبد الرحمن بن عوف بن الحرث القرشي، أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى، توفي رضي الله عنه سنة 31 هـ . ينظر: الإصابة، ابن حجر،ج: 4، ص: 176.
16. بغية المقاصد في خلاصة المراصد: محمّد بن علي السّنوسي، اللّوحة: 08.
17. المرجع نفسه: اللّوحة:08 وما بعدها.
18. بغية المقاصد في خلاصة المراصد: محمّد بن علي السّنوسي، اللّوحة: 09
19. المرجع نفسه: اللوحة: 93.
20. المرجع نفسه: اللّوحة:107.
21. الفلاني: الإمام المحدث الحافظ المسند الأصولي الأثري فخر المالكية صالح بن نوح بن عبد الله بن عمر العمري، الشهير بالفلاني، نسبة إلى فُلان قبيلة بالسودان، ولادةً ومنشأً، المدني هجرةً ومدفناً، المالكي الأثري، ولد سنة: 1166هـ يقول فيه شمس القاوقجي:" كاد أن يكون مجتهدا"، وكتابه الماتع" إيقاظ الهمم " خير دليل على ذلك، ومن مصنفاته "الأحاديث القدسية"، الثبت الكبير" الثمار اليانع" والثبت الصغير" قطف الثمر"، توفي سنة: 1218هـ. ينظر: فهرس الفهارس،عبد الحي الكتاني،ج: 2، ص:901 وما بعدها.
22. بغية المقاصد، محمد بن علي السنوسي، اللوحة: 18.19.